خطبة صلاة الجمعة 25/10/2013 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(نصائح اقتصادية في ظل الأزمة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:29-30].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء:5].

وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:67].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ**» [رواه الطبراني والبيهقي].

وقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «**مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ**» [رواه أحمد والطبراني].

وكان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو فيقول: «**أَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى**» [رواه النسائي].

وقال سيّدنا أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: (إنِّي لأُبغِض أهلَ بيتٍ ينفقون رزقَ أيَّامٍ في يومٍ واحدٍ).

وقال سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لابنه: (يا بُنيَّ، كُلْ في نصفِ بطنِك، ولا تطرح ثوباً حتى تَسْتَخْلِقَه -أي: حتَّى يصير رَثّاً بالياً-، ولا تكن من قومٍ يجعلون ما رَزَقَهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم) [ابن أبي شيبة مختصراً].

عنوان الخطبة:

(نصائح اقتصادية في ظل الأزمة)

أنهيت -قبل حينٍ- تقديم سلسلة دروسٍ عنوانها: (دورةٌ في الاقتصاد المنزلي)، وقد دعاني للإسراع بتحضيرها وتقديمها ما أرخته الأزمة التي نعيش -والتي نسأل الله تعجيل كشفها بلطفه-، ما أرخته بظلالها على الأحوال الاقتصادية للنَّاس في هذا البلد، فضلاً عمَّا نزلَ بالنَّاس عامَّةً من ظلال الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة.

تحدَّثت الدَّورة عن تعريف الاقتصاد المنزلي، وميزاتِه في البيت المسلم، وعن مواردِ الأسرة، والموازنةِ المنزليَّة، والتَّوفيرِ وآلياتِه، والتَّسوُّقِ، وأهمِّ الآفات الاقتصاديَّة: (كالإسراف والتَّبذير- البُخل- سوء التَّربية الاقتصاديَّة- الدَّيْن)، وعن طريقة التَّعامل مع المصاريف الدَّائمة (الكهرباء والماء)، وتحدَّثت عن اقتصاد الأسرة في الأزمات، وعن أسباب سَعَةِ الرِّزق، وعن العمل وآدابه وعمل المرأة، وقدَّمت كلماتٍ للباحثين عن العمل، وختمت الدَّورة بأهمِّ النَّصائح في الاقتصاد المنزلي.

وها أنا في خطبة اليوم أَذْكُر لكم أربع نصائحٍ في الاقتصاد المنزلي في ظلِّ الأزمة.

النَّصيحة الأولى- تحرَّ الحلال واحذرِ الحرام:

نصيحةٌ لكلِّ من أراد أن يُتقن إدارة موارد الأسرة، ولكلِّ من أراد أن يعفَّه الله عن سؤال النَّاس، تحرَّ الحلال واجتنب الحرام، واعلم أنَّك بتحرِّيك للحلال واجتنابك للحرام تُدْخِل بركةَ الله عزَّ وجلَّ على مالك، وباجتنابك للحرام تستجلب معونة الله في اقتصاد أسرتك، وإذا كان الله تعالى معك فمَن عليك، وإذ كان الله تعالى عليك فمَن معك؟!

ومَن أدخل حراماً إلى كسبه فقد قرَّر أن يحمل أعباءَ الحياة وحدَه بذكائه وقوَّته وتدبيره مستغنياً عن معونة ربِّه، ولئن استغنى امرؤٌ عن الله عزَّ وجلَّ فقد هَلَكَ.

(إلهي، ماذا وَجَدَ من فَقَدَكَ؟ وماذا فَقَدَ من وَجَدَكَ؟ يا رب مَنْ كنت معه فمَن عليه؟ ومَن كنت عليه فمَن معه؟).

كم مِن شابٍّ وفَّقه الله في ذُرِّيته وأولاده وزوجته وحياته من دخلٍ قليلٍ أُضيفتْ له البركة، فعمَّر طويلاً، وأنفق على أسرته، فَخَرَّجَ الأطباء والحفَّاظ والدُّعاة والأدباء من مالٍ حلالٍ اكتسبه..

وكم مِن رجلٍ غنيٍّ كثيرِ المال، ما كان يتورَّع عن أكل الحرام، أمضى أواخر عمره بالفقر والعِوَز!.

الحرام سمٌّ قاتلٌ، فاحذر أن تجرع شيئاً منه.

ومن الحرام: الاعتداء على أموال النَّاس، والخوض في التَّعاملات الرِّبويَّة، والتَّأمين الرِّبوي، والرِّشوة، وخديعة الزَّبائن، والتَّلاعب بالميزان، وخيانة الوكالة والوديعة، والدُّخول في وساطةٍ لإنشاء مقرَّاتٍ تنشر الرَّذيلة والفساد، والتَّرافع في المحاكم دِفاعاً عن ظالمٍ غاشمٍ لتبرئته...

الحلال واسعٌ، والحرام ضيِّقٌ، فلا تحشر نفسك في المحرَّم، وابقَ في السَّعَة والرَّاحة والبحبوحة من الحلال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:278-281].

النَّصيحة الثَّانية– اجتهد أن تتعدَّد مصادرُ دَخلِك:

لا تبقَ معتمداً على مصدر دخلٍ واحدٍ، أضفْ إلى عملك الوظيفي عملاً تجاريَّاً، ثمَّ إلى عملك التِّجاري مجالاً إضافياً، واغتنم وقتك وَثَمِّرْهُ، وافتح الآفاق لرزقك، وعدِّد الأبواب التي يدخل المال منها عليك ونوِّعها.

قد تكون موظَّفاً في مكانٍ ما وتتوقف المؤسَّسة التي تعمل بها، قد يعتذر إليك صاحب العمل عن متابعة العمل عنده، قد يسافر مالِك المُنشأة التي تعمل بها ويقرِّر إغلاقها.

ماذا سيحدث لك؟

إذا لم يكن لك إلا مصدر دخلٍ واحدٍ فستجلس في البيت فارغاً عاطلاً، لكن إذا كان لك مصدرٌ آخر فإنَّ هذا يسند ذاك، فاجتهد ما استطعت في أن تُعدِّد مصادر دخلك، سواء كنت طبيباً أو مهندساً أو حرفيَّاً أو غير ذلك...

- يعمل شابٌ متخرجٌ في كليّة الكيمياء التَّطبيقية موظفاً في أحد المعامل، لكنَّه وبحكم خبرته بصناعة الصَّابون ومواد المنظفات، كان يصنع في بيته سائل الجلي والصَّابون ونحوهما، ويبيعها بأسعارٍ مشجّعةٍ للبقالات التي في قريته، الأمر الذي دَرَّ عليه دخلاً إضافياً، أغناه عن سؤال النَّاس عندما توقف عمله الوظيفي.
- تتقن سيّدةٌ فاضلةٌ الأعمال المنزلية، فكانت تُعِدُّ البازلاء والفول في موسمها للادخار، وتبيعها لجاراتها أو أرحامها، ثمَّ أصبحت تعمل العملَ نفسه في المُرَبَّيَات وأصنافٍ أُخرى من الأطعمة، حفظت بعملها الإضافي هذا أسرتها من العِوز عندما توقَّف عمل زوجها.

إنَّ السَّاعات التي تَمضي دون عملٍ تُهدَر بغير فائدةٍ، وهي ثروةٌ تُبَدَّدُ دون وعيٍّ، ويمكننا القول: (إنَّ الوقت من الموارد التي تتعاظم أهميتها مع زيادة وعيّ الفرد وعلمه)، وبإمكانك الآن أن تُفكِّر كم يُبَدِّدُ النَّاسُ من ساعاتٍ وهم فقراء!

النَّصيحة الثَّالثة– تحكَّم في نفقاتك:

لا تترك عاداتك الاقتصاديَّة الخاطئة توجّه بوصلتك الماليَّة، وإنَّما درِّب نفسَك أن تتحكَّم بنفقاتك، فابدأ بشراء الضَّروريات ثمَّ الحاجيات، واستغنِ عن الكماليَّات حتَّى يغنيك الله من فضله، وإليكم هذه الأمثلة:

- أرادتْ إحدى شركات الطَّيران أن توفِّر نفقاتها، فقرَّرت أن تحذف حبَّة زيتونٍ من وجبة كلِّ مسافرٍ –وكانوا يضعون ثلاث زيتونات في وجبة المسافر– فاستطاعت هذه الشَّركة أن توفِّر خلال عامٍ مليون دولار!
- تعتبر نفقات الهاتف من المصاريف الكبيرة التي تَقتَطع جزءاً ملحوظاً من الميزانية الشَّهريَّة للشَّخص العادي، ويمكن للفرد غالباً أن يحدَّ منها.
- تناول طعام الفطور في المنزل يوفِّر على الأسرة نفقات الوجبات الجاهزة للأب أو الأمّ في العمل، والأولاد في المدارس.
- إلغاء استعمال السيَّارة للذَّهاب للأماكن القريبة، يوفِّر مبلغاً لا بأس به من ثمن الوقود.

- إلغاء التَّدخين يوفِّر على الفرد المدخِّن آلاف اللَّيرات كلَّ شهرٍ.

المراد من هذه الأمثلة القول: لا تترك عاداتك الاقتصاديَّة توجِّه بوصلتك الماليَّة، بل اجتهد في التَّحكم بنفقاتك في ظل الأزمة؛ حتَّى لا تدخل في التزاماتٍ ماليَّةٍ ليست في قدرتك.

النَّصيحة الرَّابعة– استشر في خطواتك الماليَّة الكبيرة:

اسأل أهل الخبرة الماليَّة في أعمالك الاقتصاديَّة الكبيرة، فرأي الخبير أحياناً يوفِّر عليك الكثير، ويجنبك الوقوع في الهلكة.

- سمعت أنَّ امرءاً باع داره ودكانه في البلد؛ لأنَّه قرَّر السَّفر مع عائلته إلى بلدٍ عربيٍّ، وهناك تفاجأ بالغلاء الفاحش وصعوبة الحصول على الأوراق الرَّسميَّة للإقامة، ومرَّت به الأيَّام يُنفق رأس ماله، وعاد بخفي حنين إلى البلد، وقد أضاع بيته ودكانه.

لو استشار هذا الرَّجل أهل الخبرة في هذا الشَّأن، لوفروا عليه الكثير من الجهد والمال، ولحموا له داره ودكانه.

- وسمعت عن شابٍ أُغْرِي بالدُّخول في شركة تسويقٍ غير مشروعةٍ، فاستدان ليشتري سلعتهم بمائات الآلاف، ثمَّ راح يبحث عن الأرباح المزعومة فلم يُحَصِّلْهَا، فوقع في شرَكَ الدَّيْن.

لو استشار هذا الشَّاب قبل فعلته لأرشده أهل الخبرة إلى الصَّواب، ولحمى نفسه من الوقوع في الدَّيْن والحرام.

أيُّها الإخوة:

هذه نصائح اقتصاديَّة أربع، أحببت أن أضعها بين أيديكم في خطبة اليوم:

1) تحرَّ الحلال واحذر الحرام.

2) اجتهد أن تتعدَّد مصادرُ دخلك.

3) تحكَّم في نفقاتك.

4) استشر في خطواتك الماليَّة الكبيرة.

والحمد لله رب العالمين